لمحة عن الأوضاع السياسية للجزائر في أواخر العهد العثماني

أ. مبارك شودار
مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة
الأغواط - الجزائر

الملخص:

يتطرق هذا الموضوع بصفة جوهرية للمظاهر العامة للجزائر في أواخر العهد العثماني، ويسلط الضوء على جانب مهم من الحياة السياسية والعسكرية للإيالة الجزائرية في المرحلة التي مهدت للاحتلال الفرنسي سنة 1830م،وهي فترة جد حرجة بالنسبة للإيالة الجزائرية وذلك لما شهدته من تطورات سياسية وعسكرية على المستوى الإقليمي والدولي، خاصة على المستوى الأوروبي الذي أعلن تكتله في جبهة واحدة لمواجهة الجزائر ومحاولة تهميشها من القضايا المتوسطية.

وقد واكب هذا التطور في علاقات الجزائر الخارجية مع الدول الأوروبية تطورات سياسية حرجة بالنسبة للإيالة الجزائرية، كان أبرز مظاهرها الاغتيالات السياسية التي مست أبرز دايات الجزائر في هذه المرحلة، ومما زاد في خطورة الوضع نشوب تمردات قبلية تحت تأثير رجال متصوفة مما أدخل البلاد في حالة فوضى عارمة انعكست سلبا على مستقبل الإيالة الجزائرية ومهدت الطريق للأطماع الخارجية.

***Abstract*:**

This topic essentially deals with public manifestations of Algeria in the late Ottoman reign ،and sheds light on an important aspect of political and military life of the Algerian province, a phase that paved the French occupation in 1830, a critical period

for the Algerian province ،so struck by political and military developments at the regional and international level, especially at the European level which announced a bloc in one front against Algeria and tried to marginalize its role in issues related to the Mediterranean.

This development has been accompanied by Algeria's external relations with European countries, critical political developments for the Algerian province; the most prominent aspects were the political assassinations that have touched the many supreme Algerian Deys, At this stage increased in the severity of the situation was the outbreak of tribal rebellions under the influence of Mystical men, which plunged the country in a state of chaos reflected negatively on the future of the Algerian province and paved the way for foreign ambitions.

مقدمة

أجمعت الدراسات التاريخية على تقسيم الحكم العثماني في الجزائر الى أربعة مراحل أساسية، اختلفت كل مرحلة عن الأخرى بمجموعة من الخصائص السياسية والاقتصادية والعسكرية، وتعتبر مرحلة الدايات آخر مراحل الحكم العثماني بالجزائر إحدى المراحل الحساسة بالنسبة للإيالة الجزائرية، حيث شهدت الدولة الجزائرية خلال هذه المرحلة العديد من التطورات والتغيرات في الميدان السياسي والعسكري والاجتماعي، مما أهلها بأن تكون المرحلة الأكثر تأثيرا والأشدّ وقعا على المسار التاريخي للإيالة الجزائرية وتطوراته خاصة في الجانب السياسي.

يكتسي موضوع الأوضاع السياسية للجزائر في أواخر العهد العثماني أهمية بالغة بالنسبة للحقل التاريخي للجزائر، ويكتسب هذا الموضوع أهميته وخصوصيته انطلاقا من معلمه الزماني، فهو يعالج فترة انتقالية جاءت بين مرحلة الحكم العثماني وبداية المشروع الاستعماري الفرنسي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لاحت في الافق تطورات سياسية وعسكرية عالمية كان لها الأثر البعيد على مستقبل الإيالة الجزائرية، ومن الأمور ذات الدلالة في هذا الشأن تغير المعالم الكبرى للمعادلة المتوسطية وظهور قوى أوروبية جديدة تسعى لوضع حد للقوة الجزائرية في غرب البحر الأبيض المتوسط من خلال اتفاقها في مؤتمراتها الدولية كمؤتمر فينا 1815م ومؤتمر أكس لاشابيل 1518م،ومن خلال هذه الدراسة سنتعرف عن الأوضاع السياسية الداخلية والتي ميزت الجزائر في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين.

أكدت الدراسات التاريخية على أن المشروع الفرنسي تجاه الجزائر جاء بعد دراسة معمقة من قبل مهندسين وجواسيس وقناصل وغيرهم من الرجال والشخصيات الذين آمنوا بفكرة جعل الجزائر ملحقة ترابية لفرنسا، ولإنجاح هذا المشروع انكبت دراساتهم وأبحاثهم حول علاقة المجتمع الجزائري بكل أطيافه وتوجهاته بالسلطة الحاكمة، ومدى تفاعل المجتمع مع الدولة، وفي هذا الشأن جاءت نتائج أبحاثهم مشجعة بعدما أدركوا توتر العلاقة بين المجتمع وحكومته المركزية، ومدى اتساع الهوة بين الجانبين، لذلك بادروا إلى توظيف هذه القضية في مشروعهم الاستعماري، واستغلوها في النداء الموجه للجزائريين عشية الغزو الاحتلالي، وعلى العموم سنتناول في هذه الورقة البحثية المعالم الكبرى للأوضاع السياسية للإيالة الجزائرية في أواخر العهد العثماني.

1-اضطراب السلطة وتعفن الوضع الإداري.

شهدت الإيالة الجزائرية في الفترة الأخيرة من العهد العثماني تحولا خطيرا شمل جميع قطاعات الحياة[1]، ورغم المحاولات التي قام بها بعض الدايات أمثال الداي محمد بن عثمان باشا[*] لإصلاح البلاد إلا أن نتائجها كانت محدودة، إذ جاءت في وقت متأخر تفاقمت فيه الأوضاع الداخلية وتعددت الأطماع الخارجية، ويرجع التدهور العام الذي شهدته الإيالة الجزائرية في أواخر عهدها إلى مجموعة من التراكمات اجتمعت فيها العوامل الداخلية والخارجية.

عرفت إيالة الجزائر أثناء العهد العثماني فترات من الفوضى والاضطرابات ارتبطت بعدم الاستقرار السياسي، مما كان له تأثير مباشر على الأوضاع العامة، غير أن هذه الحالة لا تنفي وجود محاولات إصلاحية كان الغرض منها إحداث تغيير شامل على التدهور الذي شهدته الإيالة، ولعل أهم محاولة في القرن الثامن عشر الميلادي كانت تلك التي قادها الداي محمد بن عثمان باشا، وما يعطي لهذه المحاولة أهميتها هو سيادة الاستقرار والهدوء، كما أنها كللت فيما بعد باستكمال الوحدة السياسية للبلاد وذلك بعد تحرير وهران سنة 1792م، وكان هذا التحرير بمثابة استرجاع الأندلس في نفسية الجزائريين مما جعل الكثير من المعاصرين للحدث يشيدون بصاحب هذا المشروع[**] بقولهم:

فَسَارَ مَسِيرُ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَـدٍ وَهَبَّ كَرِيحٍ يَجْلُبُ الغَيْث نَافِعُ
فَفَاقَ مُلُوكَ الأَرْضِ طرًّا كَأَنَّهُمْ نُجُـومُ وهـو بَيْنَهَا البَدْرُ طَالِعُ
فَقَدْ سَادَهُمْ عِلْمًا وَحِلْمًا وَنَجْدَةً وبِالجُودِ والإقْدامِ لِلْكُلِّ جَامِعُ[2]

ولا بد من الإشارة والتنويه بفتح وهران وتحريرها من الوجود الإسباني، حيث شكلت هذه المدينة الاستراتيجية حيز الصراع بين الجزائر وإسبانيا، فبعد التحرير الأول سنة 1708م تمكنت إسبانيا من احتلالها للمرة الثانية عام 1732[3]، وفي عهد الداي عثمان باشا تم الإمضاء على معاهدة بين الجزائر وإسبانيا سنة 1791م، أكد بندها العشرين والواحد والعشرين على عدم مهاجمة وهران والمرسى الكبير والتضييق عليهما من طرف الداي بالجزائر أو باي الغرب، في مقابل امتناع الإسبان عن إرسال أي مركب قد يعتبره الطرف الجزائري عملا عدائيا إلا بالرجوع إلى السلطات الجزائرية[4]، وفي عام 1792م تمكنت الإيالة الجزائرية من تحقيق رغبتها في تحرير وهران من الوجود الإسباني كما أشرنا سابقا.

أما على الصعيد الخارجي فقد عرفت الجزائر منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي استقرار سياسيا ما مكنها من انتهاج سياسة حازمة مع الدول الأوروبية وعلى رأسها انجلترا وفرنسا، وأخضعت الامتيازات الفرنسية إلى الرقابة عند تجديدها كل من سنة 1767، 1768، 1790، كما حدّت من نفوذ القنصل الإنجليزي الذي اضطر إلى مغادرة الجزائر سنة 1783م، وتمكنت من رفع قيمة الإتاوات السنوية للدول التي كانت تنتفع بالتبادل التجاري مع الجزائر دون أن ترتبط معها بمعاهدات مثل البندقية وهولندا[5].

إن الاستقرار السياسي والتفاعل الاجتماعي بين السكان المحليين والسلطة الحاكمة هو ما مكن الإيالة من تحقيق أهدافها المنشودة كتحريرها لوهران وتطبيق سياسة ناجحة في حق الدول الأوروبية، كما حافظ هذا الهدوء والاستقرار على هيبة الدولة وموقعها السيادي في البحر الأبيض المتوسط، إلا أن الأمور ستأخذ منحى آخر في مطلع القرن التاسع عشر تكون نتائجه وباء على مستقبل الإيالة الجزائرية.

اتفقت الدراسات التاريخية على أن مطلع القرن التاسع عشر كان عهد فوضى واضطراب بالنسبة للإيالة الجزائرية، والذي كان من أبرز مظاهره اغتيال ستة دايات[6]، والجدول الآتي يبين ذلك بوضوح.

الداي	فترة حكمه	طريقة الاغتيال
مصطفى باشا	1798-1805م	قتل ذبحا
أحمد باشا	1805-1808م	قتل رميا بالرصاص وهو يحاول الهروب من القصر
علي الغسال	1808-1809م	أجبر على تناول السم فرفض فخنق
حاج علي	1809-1815م	قتل خنقا في الحمام
محمد الخزناجي	1815م	قتل خنقا في قصر الجنينة
عمر باشا	1815-1817م	نفذ فيه حكم الإعدام خنقا[7]

يتضح من خلال الجدول تعفن الوضع السياسي للإيالة الجزائرية في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي بحيث أصبح منصب الداي منبع الرعب والخطر، كما يؤكد هذا الجدول تفاقم معدل الاغتيالات السياسية أثناء هذه الفترة، ولم يقتصر الأمر على مدينة الجزائر ومركز السلطة، بل عرفت باقي المقاطعات تكرر عمليات العزل والإعدام حتى لم تعد تتجاوز فترة حكم الكثير منهم بضعة شهور.[8]

ترجع بعض الدراسات انتشار ظاهرة الاغتيالات السياسية التي عمت الجزائر خلال القرن التاسع عشر الميلادي إلى فساد الانكشارية[*] وتدخلها المستمر في الحياة السياسية، وهذه السياسة لم تكن وليدة القرن التاسع عشر أو نتيجة لنظام معين بل إن تدخل الانكشارية في أمور الحكم قد بدأ منذ الفترات الأولى لتأسيس الإيالة الجزائرية[9].

بالغت الكتابات الأجنبية في تهويل الأمر وذلك عندما أشاروا أن حياة الداي كانت تنتهي أحيانا بمجرد خروجه من القصر[10]، هذا ما جعل المؤرخ الفرنسي دوغرامون "*de Grammont*" يعتقد أن نصف الدايات قد اغتيلوا[11]، وكانت تداعيات ذلك جلية، حيث انخفض معدل البقاء في السلطة إلى أربعة سنوات وهو ما يبدوا واضحا ابتداء من عهد الداي مصطفى باشا[*] الذي أطاح به الجند بعد ثلاث محاولات فاشلة، ومنذ ذلك الوقت لم ينفك الجند عن التدخل الواضح في الحياة السياسية، ويفيض كتاب الإخباري أحمد شريف الزهار بالعبارات التي تؤكد على مدى تعاظم دور الجند في تعيين وعزل الحكام حيث كثيراً ما نقرأ «... استقدمه العسكر لدار الإمارة...»، «...وبعدما ثار العسكر وقتلوه...»، «...ولما قتلوا ذهبوا إلى القشلة وأتوا بـ...»، «... ثم وصل العسكر إلى دار الإمارة وأجلسوا...».[12]

أدى تزايد تدخل فرقة الإنكشارية في الحياة السياسية إلى اغتيال معظم الحكام فالداي الوحيد الذي كانت وفاته طبيعية هو الداي علي باشا ** في هذه الحقبة، رغم ما اتسمت به سياسته من صرامة إزاء الجند وهذا ما يفسر تغييره لمقر السلطة من قصر الجنينة إلى القصبة[13] واضطهاد الجند، كما استطاع أن يسيطر سيطرة تامة على الأتراك العثمانيين وذلك من خلال إسناده جميع الوظائف لعدد هام من الكراغلة والحضر وكان يهدف من وراء ذلك إلى إزاحة العنصر التركي العثماني من الحياة السياسية، والاستناد إلى قوة محلية وذلك للحد من تجاوزات الإنكشارية[14].

إن سبب إخفاق الحكام في السيطرة على مجريات الأحداث كان نتيجة لسياسة التجنيد التي انتهجوها فعندما كانت الجزائر في حاجة إلى جنود جدد لتدعيم صفوف جنودها قامت السلطة الحاكمة بإرسال وفد إلى الدولة العثمانية لتجنيد الجنود، ولكن المكلفين بتلك المهمة لم يلتزموا بطريقة التجنيد التي كانت متبعة في العهود الأولى أين عرفت انتقاء الجنود حسب معايير متفق عليها مثل الكفاءة والانضباط والأخلاق.

وصف حمدان بن عثمان خوجة الذي عاصر الفترة الأخيرة من العهد العثماني الجيش الإنكشاري في الجزائر بقوله: «...صارت تلك المليشيا المسلحة التي لا مبدأ لها، صارت ترتكب المخالفات ضد البدو والقبائل، ثم قام هؤلاء البؤساء بإشعال الثورات وقلب قادة الدولة حسب هواهم...»، ويضيف نفس المصدر قوله «... كانوا يفتحون أبواب الميليشيا لأي كان حتى لأناس كانوا قد أدبوا وأدينوا، وكان من بين المجندين يهود ويونانيين...»[15]، وقد أفرزت هذه الظروف التي سادت بأن يتولى الحكم مجموعة من الحكام التي كانت تنقصهم القدرة على وضع حد لتجاوزات الجنود، بل أصبحوا عاجزين حتى عن حماية أنفسهم من مؤامرات الجنود وكانت أول ضحية افتتح بها القرن التاسع عشر هو الداي مصطفى باشا (1798-1805م) عام 1805م ولحقه بعد ذلك أحمد خوجة 1805-1808م[16].

والجدير بالذكر أنه نتيجة لهذه الاغتيالات أصبح الداي الجديد عند تعيينه يبادر في البداية إلى إحداث تغيير شامل في الجهاز الإداري للسلطة، إذ يقوم بتعيين العناصر التي وقفت إلى جانبه أثناء الانقلاب[17]، هذه التغيرات الفجائية وعدم الاستقرار وانعدام الاستمرارية في الجهاز الإداري للسلطة الحاكمة قد أثر بشكل أو بآخر في تعفن الأوضاع السياسية للإيالة الجزائرية في

آخر عهدها، ولم تبق هذه الأوضاع حبيسة السلطة المركزية بل تعدت إلى باقي المقاطعات سواء في الشرق أو الغرب الجزائري، وهذا ما أشار إليه العنتري في وصف أحوال مقاطعة الشرق الجزائري بقوله: «...وكان تحدث في تلك الأيام مع العساكر وطلبهم يمشون معه إلى الجزائر لأجل أن يقتل الباشا... فيستولي هو على مملكته»[18].

انعكست هذه الأوضاع على تفكير الدايات حيث أصبحوا لا يفكرون في أمور البلاد بل همهم الوحيد هو جمع المال لأنهم كانوا يعلمون أن مدة توليتهم لا تطول، كما مارس بعض البايات سياسات سلبية في مقاطعاتهم التي يحكمونها، وعندما تكثر الشكاوي ضدهم يقوم الداي بنقلهم إلى مناطق أخرى عوض عن عزلهم، كما حدث ذلك مع الباي عثمان* الذي كان بايا على بايلك الغرب عام 1798م، وقد قال عنه الزياني «...لم يلفت لما كلفه الله من أمور الرعية بل جعل ذلك نسيا منسيا...»[19]، ثم عين على بايلك الشرق سنة 1803م[20]، وبقي في الحكم إلى أن لقي مصرعه في إحدى المعارك ضد القبائل الثائرة، وهذا دليل على ما وصلت إليه السلطة المركزية من ضعف، ورغم ذلك فإن الفترة الأخيرة من العهد العثماني عرفت نخبة من الدايات كانوا في مستوى الأحداث واستطاعوا أن يصمدوا ردحا من الوقت أمام التحديات التي طرأت على الساحة الداخلية والخارجية.

ومن هؤلاء الدايات نذكر الداي علي خوجة (1817-1818م) الذي حاول أن يعيد للجزائر مجدها القديم، وقد أدرك أن فساد الجيش وتدهوره قد أعاق ازدهار البلاد فسارع إلى إصلاح أحواله، وجعل بين الجنود جواسيس يلتقطون له الأخبار كما استخدم فرقا من الأهالي والكراغلة بدلا من الانكشارية.

ويتضح من هذه الإجراءات أن الداي علي خوجة كان يعد لمشروع إصلاحي إلا أن الموت فاجأه على إثر مرض الطاعون[21] فأوصى بمنصبه لخليفة له.[22]

مما سبق ذكره يتضح أن الأوضاع السياسية داخل الإيالة الجزائرية أصبحت تحمل بين طياتها زوال الحكم العثماني بالجزائر، خاصة بعد تفاقم دور الإنكشارية في أمور الدولة، هذه الأوضاع ستشجع على قيام ثورات شعبية وتمردات قبلية قادها رجال الطرقية والمتصوفة في كل من الشرق الجزائري وغربه، كان لها الأثر البالغ على مستقبل الإيالة.

2--ثورات رجال الطرقية

عرفت الإيالة الجزائرية مع مطلع القرن التاسع عشر موجة من الثورات والانتفاضات قادها مجموعة من المرابطين وشيوخ الزوايا هددت بموجبها التواجد العثماني في الجزائر، وكانت عاملا حاسما في زواله وانهياره، كما تزامنت هذه الثورات مع اشتداد التنافس الإنجليزي الفرنسي على اكتساب مناطق نفوذ داخل نيابة الجزائر وباستحواذ اليهود على مقاليد الحكم، وانتشار موجة الاستياء العام لدى السكان اتجاه السياسة الجائرة المطبقة من طرف الدايات، ومن أهم هذه الثورات على سبيل المثال تلك التي اندلعت بمنطقة جرجرة خلال أعوام 1804و 1810 و1823م وثورة ابن الأحرش في الشمال القسنطيني وثورة درقاوة في الغرب الجزائري ما بين سنتي 1805-1816م والثورة التجانية بعين ماضي عام 1816م وثورة النمامشة والأوراس ما بين عامي 1818-1823م[23]، وسنقتصر في حديثنا على ثورة درقاوة وابن الأحرش لما خلفتاه من نتائج وتأثيرات انعكست على الوضع العام للإيالة.

اهتمت الدراسات التاريخية بدراسة ظاهرة التصوف في الجزائر العثمانية[24] وسلطت الضوء على علاقة رجال الطرقية والصوفية بالسلطة الحاكمة، وحاولت أغلب الدراسات الإجابة على إشكالية عامة فحواها ما يلي: إلى أي مدى يمكن اعتبار ثورات رجال الطرقية ردا صريحا على السياسة المنتهجة من طرف السلطة الحاكمة؟ وإلى أي مدى ساهمت الأطراف الخارجية في تغذية هذه الثورات؟

برزت ظاهرة انتشار التصوف والطرقية خلال القرن الخامس عشر الميلادي المتميز بالتشتت السياسي والأزمات الاقتصادية وهزيمة المسلمين في الأندلس وهجرتهم نحو بلاد المغرب الإسلامي[*]، وقد مرت علاقة العثمانيين بالطرق الصوفية بمرحلتين مهمتين:

أولاهما: هي تقريب هؤلاء إليهم لحاجتهم الملحة لمن يناصرهم أثناء تواجدهم بالجزائر لمجاهدة النصارى فوجدوا في المرابطين وأتباع الطرق الصوفية أحسن معين لهم لإقامة نظام الحكم بالجزائر، وقد استمر هذا الترابط حتى نهاية القرن الثامن عشر، حيث جعلوهم واسطة بينهم وبين القبائل الجزائرية المستعصية عليهم ومن ثم كان لشيخ الطريقة الصوفية المكانة الاجتماعية والسياسية التي أوجدها النظام العثماني بالجزائر.

ثانيهما: المتمثلة في الظروف السياسية والاقتصادية والأمنية التي سادت البلاد والمنطقة عامة، حيث أجبر الحكام على نقض عهدهم السابق وسارعوا إلى تهميش المرابطين واستغلالهم كبقية عامة الناس، ولكن هؤلاء المرابطين رفضوا الخضوع للأمر وتمردوا على السلطة وحرضوا الأهالي ضدهم، الشيء الذي تسبب في الكثير من المشاكل للإدارة العثمانية[25]، ومن أبرز هذه الثورات ثورة ابن الأحرش.

أ-ثورة ابن الأحرش:

عرّفه المزاري بقوله: «...أحمد بن الأحرش فتى مغربي مالكي مذهبا، ودرقاوي طريقة، درعي نسبا، جاء لتلك القبائل وادّعى أنه الإمام المهدي المنتظر، وكان صاحب شعوذة وحيل وخبر، يبدل بها الأشياء للشيء الذي يريد فورا، كتقطير السيف دما والحجارة درهما... فرأت منه الناس العجائب وأظهر لهم الأمور الغرائب التي هي قلب العين لا حقيقة لها فنصروه وعقدوا له البيعة حزبا حزبا وجندوا معه وأمره كله كذب واتبعوا في المصادر وامتثلوا له في النواهي والأوامر...»[26]، كما زعم ابن الأحرش أن دعوته مستجابة والنصر حليفه دائما وبارود عدوه لا يضره ولا يصيب أتباعه.[27]

تجمع الدراسات التاريخية أن ابن الأحرش قام بزيارة للمشرق لأداء فريضة الحج، كما شارك في محاربة الفرنسيين بمصر أثناء حملة نابليون بونابرت، وأثناء عودته عرّج على تونس، حيث وجد تأييدا من قبل حمودة باشا* الذي حرضه على محاربة العثمانيين والقضاء على حكومتهم بالجزائر، وأثناء عودته إلى قسنطينة قام بتنفيذ مشروعه والدعوة له، وتمكن من استقطاب عدد هائل من السكان بلغ نحو عشرة آلاف رجل[28]، وأرجعت بعض الدراسات أن تمرد ابن الأحرش كان بتشجيع من بريطانيا لأسباب اقتصادية[29]، وإذا سلمنا بأن ثورة ابن الأحرش كانت بإيعاز خارجي فإن استياء السكان من الإدارة العثمانية قد وفر الجو الملائم لهذا التمرد.

زحف ابن الأحرش إلى قسنطينة مع أنصاره ووقعت بينه وبين باي قسنطينة معارك عديدة تمكن فيها ابن الأحرش من الانتصار، واضطر الباي إلى الفرار نحو تونس، ولما علم الداي مصطفى باشا عين عثمان باي حاكما على قسنطينة وفوض إليه أمر ابن الأحرش، إلا أن هذا الباي لم يفلح في مسعاه، حيث قتل في إحدى المعارك مع ابن الأحرش[30] كما ذكرنا سابقا.

أبان سكان الأرياف والشمال القسنطيني مساندتهم لثورة ابن الأحرش وذلك بسبب التصرفات الجائرة لبعض الحكام ومحاولة الباي مد نفوذه إلى المناطق التي ظلت ممتنعة عن سلطته، وانتهاج البايات سياسة مالية مجحفة هدفها استخلاص الضرائب ولو بتجريد الحملات ومعاقبة الممتنعين عن أدائها، واعتمادهم على أسلوب القمع العسكري عند حدوث أي تمرد أو عصيان، ومما زاد في نفور السكان من سلطة البايلك وساعد ابن الأحرش هو معاداة شيوخ الزوايا ومريدي الطرق للحكام، بعد أن تجاهلهم هؤلاء وحاولوا إخضاعهم والتضييق عليهم.[31]

بدأ تصميم السلطة المركزية بالجزائر على وضع حد لهذا التمرد بعزم الداي مصطفى الخروج على رأس قوة عسكرية بنفسه لتتبع الثائرين عندما بلغته أنباء مقتل الباي، إلا أن مستشاريه حاولوا إقناعه بالعدول عن ذلك، فأرسل الحاج علي آغا لتهدئة الجهات الشرقية من البلاد وعين عبد الله بن إسماعيل* قائد وطن الخشنة بايا على قسنطينة وكلفه بملاحقة ابن الأحرش، وقد تمكن الباي عبد الله من تبديد جموع ابن الأحرش بنواحي ميلة بفضل الجيش الذي اصطحبه معه من الجزائر، وعند ظهور ابن الأحرش من جديد بنواحي بجاية انهزم مرة أخرى على يد فرق اليولداش وأعوان المقراني، وبعد جهود مضنية تمكن الحاج علي آغا والباي عبد الله من وضع حد نهائي لثورة ابن الأحرش بالشرق الجزائري، أين تمكن هذا الأخير من الالتحاق بجموع درقاوة بالغرب الجزائري التي أعلنت الثورة على البايلك بزعامة ابن الشريف عبد القادر الدرقاوي.[32]

وما يمكن قوله أن ثورة ابن الأحرش قد أسفرت عن نتائج خطيرة هددت مستقبل الإيالة وعصفت باستقرارها، كما سجلت خسائر فادحة في الأموال والأرواح فلم ينج إلا القليل من محلة الشرق المؤلفة من أربعة آلاف جندي أغلبهم من الأتراك وقليل منهم من فرق زواوة، وأقنعت هذه الثورة سكان الأرياف بإمكانية التمرد على سلطة البايلك ورفض دفع الضرائب، كما شجعت بعض الدعاة على التمرد مثل الثائر الذي ظهر بعد انسحاب ابن الأحرش وادعى أنه حفيده[33]، ولعل أهم نتيجة لثورة ابن الأحرش في منطقة القبائل هي عودة وحدة المقرانيين الذين كانوا منقسمين على أنفسهم قبل أن يظهر ابن الأحرش في منطقتهم.[34]

تجمع جل الدراسات التاريخية على فشل تمرد ابن الأحرش، وبررت هذا الفشل بعدم انتشار الطريقة الدرقاوية في شرق البلاد، إذ كان معظم سكان تلك المنطقة تابعين للطريقة الرحمانية،

فإذا نجح ابن الأحرش في كسب بعض الأنصار من أهل شرق البلاد فذلك يرجع إلى شخصيته القوية والمؤثرة، كما يمكن القول أن أهداف ورغبة السكان في التخلص من دفع الضرائب والانتقام من سياسة الحكام قد توافقت مع طموحات ابن الأحرش الذي عرف كيف يستقطب أنصاره بتوظيفه النسب الشريف والكرامات الممنوحة له رغم الاختلاف الطرقي والصوفي بين ابن الأحرش والأهالي.

ومهما كانت نتيجة هذا التمرد فإنه قد عبر عن فقدان الثقة بين السكان المحليين والطبقة الحاكمة وهذا ما ستوظفه وتستغله فرنسا في تنفيذ مشروعها الاستعماري، والدارس للنداء الذي وجه للجزائريين عشية الاحتلال يدرك ذلك بوضوح.

لم يقتصر التمرد في الشرق الجزائري أو في رقعة جغرافية معينة بل امتدت شرارة هذه التمردات إلى كافة نواحي القطر الجزائري، وإن كان مشروع ابن الأحرش قد باء بالفشل في الشرق الجزائري فإن الغرب الجزائري شهد تمردا هو الآخر بزعامة الطريقة الصوفية نفسها ممثلة في شخص ابن الشريف الدرقاوي.*

ب-الثورة الدرقاوية:

كانت الدرقاوية** من أهم الطرق الصوفية في الجزائر، وذلك لكثرة أتباعها بغرب البلاد وعلاقاتها الوطيدة بسلاطين المغرب العلوي، وكان شيخ الطريقة الدرقاوية يقيم في العاصمة الروحية للمغرب بفاس، وقد أبدى الدرقاويون مقاومة عنيفة للعثمانيين حتى صار تعبير عاصي مرادف لتعبير درقاوي.[35]

اندلع هذا التمرد سنة 1804م في ولاية الباي مصطفى الأولى[36]، وقد تولى جمع أخبارها أبو راس الناصري* في كتابه الذي سماه "درء الشقاوى في حرب الترك مع درقاوة".

شملت هذه الثورة مناطق واسعة هددت بموجبها الوجود العثماني في الجزائر، حيث جند لها العثمانيون قوتهم ودارت معارك كثيرة بين الطرفين[37] كمعركة فرطاسة** التي انهزم فيها جيش الباي، شجعت هذه المعركة الدرقاويين لشن هجومات أخرى على السلطة الحاكمة، وكثر أتباعهم وجروا البلاد إلى حافة الثورة العامة، مما جعل العثمانيين يضيقون الخناق على زعماء الطرق

الصوفية الأخرى أثناء وبعد ثورة درقاوة، كما أدت هذه الثورة إلى زعزعة الثقة بين الرعية والولاة.[38]

بعد أن استقر الأمر للدرقاوي دعا أهل الصحراء لبيعته فاستجابوا له فبدأ مرة أخرى يجمع حشوده وقام بمحاصرة وهران، ولما قدمها محمد بن عثمان وجد الدرقاوي قد حاصرها من جميع الجوانب، وحالة الناس سيئة لطول الحصار وكذلك انقطاع الإمدادات البرية نظرا لا ستيلاء الدرقاوي على المدينة وضواحيها وسيطرته على المنافذ والمعابر، وصار الدرقاوي يعد جنوده كل يوم بالاستيلاء على وهران ويحثهم على دخولها وتخريبها.[39]

وجه ابن الشريف الدرقاوي النداءات إلى كل القبائل لتعلن الحرب والجهاد ضد العثمانيين وحلفائهم من قبائل المخزن في استراتيجية ذكية لتكثيف الجهود، ووظف في ندائه سياسة الإعفاء الضريبي التي كانت الحلقة البارزة والعامل المهم في تأييد القبائل له ومناصرته، مما مكنه بعد ذلك من السيطرة على جغرافية واسعة من البلاد امتدت من حدود مليانة شرقا إلى وجدة غربا، ما أدى بالحاميات العثمانية إلى الانسحاب صوب المدن الساحلية[40]، وقد مكنه هذا الالتفاف الجماهيري من محاصرة وهران.

تفيد الدراسات التاريخية أن تمرد درقاوة كان بإيعاز من المغرب العلوي وذلك نتيجة للأطماع التاريخية بالغرب الجزائري، وما يؤكد هذا الطرح هو سلسلة الغارات والهجمات التي شنها المغرب الأقصى عبر فترات تاريخية مختلفة على مدينة تلمسان وأحوازها*، وقد أدى فشل الغارات العسكرية المغربية إلى تبني سبل أخرى فوجدوا في الطريقة الدرقاوية ذات الانتشار الكبير بالمغرب الأقصى والغرب الجزائري ضالتهم، فوظفوها لتحقيق مرادهم، كما تدل على ذلك الرسالة التي بعث بها الشريف الدرقاوي إلى شيخ الطريقة بالمغرب والتي هذا نصها:

أَيَا أَهْـلَ تِطْوانَ فَمَا الحُكْمُ عنْدَكُم	فِي أَصْحَابِ دَرْقَا وإلى الجَمَلِ يُنْسَبُ
بِنَصٍّ يُـزِيـلُ المُشْكِلاتِ بِأَسْرِهَا	أَيُتْبِعُ مُطْلَقًا أَمِ التُّـرْكُ أَصْـوبُ
إذِ المُحْدَثَاتُ شَاعَ فِي النَّاسِ حُكْمُهَا	ياذَا الأَمْنِ بالأَوْطَانِ بَلَدُنَا مُغَرَّبُ
إذَ نَصَّبُـوا للاقْتِـدَاءِ فَـهَـلْ لَنَا	ثَوابَ صَلاتِنَا أَمِ الأَمْـرُ أَصْعَبُ
وهلْ غَيْبَةٌ تَجْرِي وينْصفُ عَـادِلٌ	جَوابُكُمْ نَبْغِي مِنَ الحَوْضِ نَشْرَبُ

وكان جواب الشيخ الدرقاوي بفاس بالمغرب الأقصى كالتالي:

عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ يَا سائِلِي خُذْ ... نُقولاً مِنَ المِعْيارِ بالسَّوْطِ يُضْرَبُ
وقدْ خَالفُوا سُبُلَ الرَّسُولِ مُحَمَّدُ ... ومَنْ خَالفَ سُنَنَ النَّبِيِّ يُعَـذَّبُ
إمامَتُهُمْ معَ الشَّهادةِ بَاطِـلـةٌ ... لِبِدْعَتِهِمْ حقًا وصِدْقًا مُرَكَّبُ[41]

وفي دراسة أولية لهذه الرسائل يتبين حجم العلاقة بين ابن الشريف وحكام المغرب لأن الرسالة كانت موجهة إلى أهل تيطوان، حتى وإن كان المقصود شيخ الطريقة ثم من الذي دعا ابن الشريف أن يوظف مصطلح تيطوان في رسالته، وهل المقصود بهذا المصطلح الهيئة الحاكمة في المغرب أو شيخ الطريقة الدرقاوية؟

من خلال رسالة شيخ الطريقة الدرقاوية إلى الشريف الدرقاوي نلمس تحريض من قبل شيخ الطريقة على الثورة ضد العثمانيين، ولا نستبعد أن ذلك بإيعاز من السلطة المغربية العلوية، وهذا ما أكدته بعض الدراسات التي أفادت فشل وساطة السلطان العلوي الذي طلب منه باي الغرب الجزائري أن يقنع الشيخ بتهدئة الأوضاع إلا أنه أيد موقف أتباعه[42]، لكن شيخ الطريقة سيغير رأيه فيما بعد عند وصوله إلى الغرب الجزائري وقد لخّص لنا الزيّاني رأيه في الثورة قائلا: «... ولما بات سمع الآذان واعتكاف الناس على العبادة في المدينة ورأى جيوش ابن الشريف فيها فساد كثير قال له يا سيدي عبد القادر بن الشريف إنك قلت لي إن الترك ومن تبعهم نصارى لا يصومون ولا يصلون وليس لهم من الدعائم الشرعية شيئا وسألت مني الإذن في جهادهم فأذنت لك، وإني لما رأيتهم وجدتهم أشد إيمانا وعبادة مني ومنك وأتباعك، وأن أتباعك هم المفسدون في الأرض، فلا شك أن الجهاد فيك وفي قومك جائز لا في أهل وهران... وأني بريء مما أنت مرتكبه...».[43]

من خلال ما سبق ذكره نستنتج أن تغير موقف شيخ الطريقة الدرقاوية يرجع إلى:

1. أن الشيخ تلقى معلومات خاطئة عن الحكم العثماني في الجزائر وعن سياسة الولاة وأن الشريف الدرقاوي صورهم له في هيئة كفار ونصارى وبالغ في ذلك حتى يأخذ الإذن منه لتنفيذ مشروعه التمردي، ولما قدم الشيخ إلى وهران واكتشف حقيقة الأمر تراجع وتبرأ من الشريف الدرقاوي.

2. يمكن أن يكون الشيخ قد تعرض لضغوطات من الحكومة المغربية بشأن تهدئة الأوضاع لخوفها من انتقال عدوى الثورة لها بحكم القرب الجغرافي والتماثل الصوفي.

ساعد هذا الموقف على تشتت قوات الدرقاوي حيث انهزم في إحدى المعارك التي لعب فيها فرسان البرجية دورا بارزا لصالح العثمانيين قرب سيدي مبارك*، وقد تم القضاء على حركته في الأخير من طرف قبائل المخزن**، وقد أكدت بعض الدراسات مصرعه أثناء محاولته استعادة مدينة معسكر سنة 1806م.[44]

إن هذه الثورات التي اندلعت تقريبا في وقت واحد وعمت شرق وغرب البلاد لم تكن وليدة الصدفة لأن اليد الأجنبية كانت منذ البداية تحرك الأفراد وتغذي فيهم أطماع الوصول إلى السلطة والزعامة، كما أن سرعة انتشار الثورات تدل على وجود استعداد مسبق للقيام بها نتيجة للسياسة العثمانية.[45]

حركت هذه الثورات الأطماع الخارجية تجاه الجزائر خاصة في ظل التنافس الأوروبي عليها خاصة بريطانيا وفرنسا مغتنمة أوضاعها الداخلية المزرية طبقا لسياستها القديمة.[46]

كشف السلطان العثماني محمود الثاني* عن رغبته في التخلص من هذه التمردات وتحسين أوضاع الإيالة الجزائرية فبادر إلى إرسال فرمان لداي الجزائر يحثه على اتباع سياسة لينة اتجاه السكان المحليين، كما أمر باجتناب ما يؤدي إلى إثارة الفتن والاضطرابات وهذا ما عبر عنه السلطان بقوله: «... أن تكون جميع أفعالك مطابقة للشرع الشريف... وتبذل جل مجهودك في الأفعال الممدوحة والحركات المرغوبة وإياك أن تعمل بخلاف المأمول...»[47]، وهذا ما عمل بمقتضاه الداي عمر** وسار على نهج أراد من خلاله أن يضمن الولاء الشعبي له، ونتيجة لسياسته المنتهجة في تسيير أمور الإيالة فقد بادر السلطان العثماني إلى إرسال تقريره الذي يتضمن عبارات الإشادة بجهوده وحنكته في تسيير شؤون الإيالة.[48]

خاتمة

وعموما يمكن القول أن الإيالة الجزائرية شهدت في مطلع القرن التاسع عشر تعفن إداري وسياسي واكبته تمردات قبلية ذات طابع طرقي وصوفي كادت أن تعصف بمستقبل الإيالة، هذا ما جعل بعض القناصل الفرنسيين يقرون بضرورة كسب المرابطين والتقرب منهم إذا ما عزمت فرنسا إرسال حملتها إلى الجزائر[49]، وقد انعكست الظروف السياسية المتسمة بالفوضى والاضطرابات على باقي المجالات الأخرى مما أعطى الفرصة ومهد الطريق للأطماع الخارجية خاصة الأوروبية، التي انتهت في هذا الوقت من تسوية مشاكلها نهائيا في مؤتمر فينا وتخلصها من شبح الثورة الفرنسية، ولم تكن الأوضاع الأخرى سواء الاقتصادية أو الاجتماعية بمنأى عن الظروف السياسية وإنما كانت كل الظروف تسير في اتجاه واحد.

الهوامش:

[1]- بلبراوات بن عتو: "الداي محمد بن عثمان باشا وسياسته"، مجلة عصور، ع6-7، جامعة وهران، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص151.

[*]- انخرط في صفوف الأوجاق بمدينة الجزائر وشارك في حصار وهران، أصيب أثناءها برصاصة في ركبته اليسرى، وبعد سنوات عين خوجة لحراسة القصر مما يوحي بثقة الداي له، ثم ترقى فيما بعد إلى منصب الخزناجي ولما أصبب الداي علي بوصبع بمرض ألزمه داره لمدة عام، تمرد الانكشاريون وتمكن الخزناجي محمد بن عثمان بجزمه من إفشال التمرد مما ساعده ذلك على الظفر بمنصب الداي بعد وفاة سلفه في 08 فبراير 1766م دون منافسة، وبايعه آغا سبايهية وأعيان الناس والعلماء وشغل منصب الداي ابتداء من سنة 1766 إلى غاية 1791م، للمزيد حول هذه الشخصية أنظر: أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا 1766-1791م، سيرته، حروبه، آثاره، المؤسسة الوطنية للكتّاب، الجزائر، 1986، كذلك راجع بلبراوات بن عتو، المقال السابق، ومن الكتابات الأجنبية:

de Paradis (Venture), Tunis et Alger au XVIII siècles, Paris, Sindbad, pp. 193-196.

[**]- الباي محمد بن عثمان الكردي أو الباي محمد الكبير رجل من رجالات الجزائر العثمانية الذين ساهموا في صناعة تاريخها في أواخر القرن 18م، إذ حكم بايلك الغرب من سنة 1779- 1797م، وتميز عن بقية البايات بأعماله التي عبرت بوضوح أن الرجل كان مسايرا لمشروع حضاري، ولد الباي محمد الكبير بمليانة التي كانت تحت قيادة والده عثمان الكردي، ولا يمكننا تحديد تاريخ ولادته بدقة إلا أن أغلب= =الدراسات تؤكد على أن مولده بين سنتي 1734-1739م، وتجمع المصادر التي تطرقت إلى سيرة الباي محمد الكبير أنه ابن عثمان الكردي، وبذلك يظهر أنه ينحدر من السلالة الكردية المستقرة بتركيا، تربى الباي محمد الكبير في البلاط العثماني وعرف عنه العلم والصلاح، اشتغل في المصالح الإدارية بقصر الباي، ثم ارتقى إلى منصب قائد القبائل فليتة سنة 1765م، واستقر بزمورة شرق غليزان ودامت قيادته لقبائل فليتة إلى نهاية 1769م، ثم ترقى إلى منصب خليفة الباي بمساعدة الديوان، ونظرا لكفاءته فقد تقلد منصب باي الغرب الجزائري من 1779 إلى غاية 1797م، عمل خلالها على توطيد الأمن الداخلي والتصدي للغارات الخارجية، وتمكن من تحرير

وهران من الوجود الإسباني عام 1792م، وبقي على هذا النحو إلى أن توفي سنة 1797م، للمزيد حول هذه الشخصية أنظر بلبراوات بن عتو: الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري، رسالة ماجستير غير منشورة بجامعة وهران، 2002، وكذلك : "الباي محمد الكبير، حياته وسيرته"، **مجلة عصور**، ع3، وهران، الجزائر، 2003، ص ص 157-160.

[2]- أبو راس الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، دراسة وتحقيق بوركبة محمد، ط1، ج2، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، الجزائر، 2011، ص411.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2010، ص 225.

[4]- ناصر الدين سعيدوني: "المعاهدة الجزائرية الإسبانية"، 1791م، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع7، الجزائر، 1993، ص 76.

[5]- نفسه، ص 72.

[6]- محمد بوشنافي: "الداي مصطفى باشا وعصره 1798-1805م"، **مجلة عصور الجديدة**، ع7-8، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2003، ص159.

[7]- حنيفي هلايلي: بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص101.

[8]- ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت، ص 40.

[*]- كلمة عثمانية مركبة من كلمتين وهي مشتقة من لفظ يكيجري وتعني العسكر الجديد وهي جيش من المشاة أنشأ في عهد السلطان أورخان عام 1326م، كانت نواته من أهل الفتوى في الأناضول ثم اعتمد على أبناء نصارى البلقان بعد تتريكهم ونشأتهم على الإسلام، كان جنودها عزابا ثم سمح لهم بالزواج في عهد السلطان سليم الأول بشرط كبر السن، خسرت هذه الطائفة معظم المعارك التي خاضتها طوال القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر، كما رفضت التدرب على فنون القتال الحديثة، وقد قام السلطان محمود الثاني بإلغائها عام 1826م في موقعة الخيرية، للمزيد حول هذه الطائفة أنظر: عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث، المشرق العربي، د.ط، د.ت، ص=

= 48-49؛ أما في شأن الجيش الانكشاري في الجزائر أنظر: محمد بوشنافي: الجيش الانكشاري خلال العهد العثماني في الجزائر 1700-1830م، رسالة ماجستير بجامعة وهران، 2002؛ أنظر كذلك حنيفي هلايلي: بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص ص 78-81.

[9]- *Gaid (Mouloud), L'Algérie, sous les Turks, maison Tunisinne de led, Tunis,* 1974, *p*150.

[10]- *De Tassy (Laugier), Histoire de Royume D'Alger, Henri du Souzet, Amsterdam,* 1725, *p*135.

[11]- *Grammont (H, de), Histoire D'Alger sous la domination turque,* 1515-1830, *Paris* 1887, *p*227.

[*]- من بين القضايا التي أثارت خلافات بين المؤرخين كانت كيفية وصوله إلى السلطة، فبعضهم يعتبره من أولئك الدايات الذين فرض عليهم عرش الإيالة رغما عنهم، وشغل منصب الداي من سنة 1798 إلى 1805م، وبقي في منصبه إلى أن اغتيل سنة 1805م، وكان من ضمن أخطائه هو منحه حرية واسعة لليهود للتصرف في شؤون الإيالة الجزائرية حتى لقب بحامي اليهود، للمزيد أنظر: محمد بوشنافي: "الداي مصطفى باشا وعصره"، **مجلة عصور الجديدة**، المرجع السابق، ص159-170.

[12]- أحمد شريف الزهار: مذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص ص 95-99.

[**]- لم نعثر في الكتابات التاريخية على سنة ميلاد علي خوجة، وكل ما وجدناه هو أن عهده يعتبر من أهم فترات الحكم العثماني في الجزائر، استولى على الحكم بعد تمكنه من المساهمة في عزل الداي عمر باشا وقتله عام 1817م، واستطاع أن يطبع عهده بمجموعة من الإصلاحات والقرارات الهامة، حيث أرجع الهيبة إلى منصب الداي، كما فرض الطاعة والانضباط بين جنود الإنكشارية، توفي سنة 1818م على إثر مرض الطاعون الذي اجتاح البلاد، للمزيد حول هذه الشخصية أنظر: محمد بوشنافي: الداي علي خوجة وإصلاحاته 1817-1818، المرجع السابق، ص 152.

[13]- عائشة غطاس: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007، ص 59.

odjak D'Alger dans les dernières années de 'étude du recrutement de l'[14] *-Colombe (Marcel), «Contribution à l Alger» R.Af, N°86, 1942, pp173-174.'Histoire de la Régence D'l*

[15]- حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص111.

[16]- أرزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011، ص29؛ أنظر كذلك:

imp, p, Crescenzo Voutes, Alger, 1910, p625.،Algérie'GARROT (Henri), Histoire général de L

[17]*- De Tassy (L), op.cit, p233.*

[18]- محمد الصالح بن العنتري: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص77.

*- هو ابن محمد بن عثمان الكبير باي وهران خلف أباه على بايلك الغرب خمسة سنوات، وفي عام 1799م عزل ونفي إلى البليدة لمدة عامين ثم أعفي عنه وعين على بايلك الشرق قسنطينة وقد قال عنه العنتري «...وكان عثمان باي رجل حزم في أموره، وطبعه يكره الترك من أجل ظلمهم ويحب العرب لنصحهم وكانت سيرته مليحة مع أهل الوطن والبلاد وحكمه بالعدل والسداد...» لقد أورد كلا من العنتري والزياني معلومات وأفكار متناقضة في شأن هذه الشخصية ويمكن أن يكون عثمان باي قد غير سلوكه وسياسته التي انتهجها في إقليم الغرب بعدما تسببت في عزله ونفيه وأصلح سلوكه وسياسته في إقليم الشرق، للمزيد أنظر: العنتري، المصدر نفسه، ص 69.

[19]- محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص 206.

[20]- العنتري، المصدر السابق، ص69.

[21]- أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص31.

[22] *- Grammont (H, D, de), op.cit, p.381.*

[23]- حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص22.

[24]- من بين الدراسات التي تعمقت في دراسة التصوف في الجزائر العثمانية دراسة الدكتور عبد القادر صحراوي والموسومة بالتصوف والمتصوفة في الجزائر العثمانية ما بين القرنين 16-18م وهي أطروحة دكتوراه غير منشورة بجامعة سيدي بلعباس 2009، وكذلك دراسة الأستاذ محمد مكحلي: ثورات رجال الزوايا والطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني 1707-1827م وهي أطروحة دكتوراه بجامعة سيدي بلعباس 2009، ومن بين الدراسات الأجنبية *Rinn (Louis), Marabouts et Khouans, Etude sur l'Islam en Algérie, Alger, Adolphe Jourdan, libraire-éditeur, 1884.*

*- للإطلاع على المأساة الموريسكية ومصير المسلمين بعد سقوط غرناطة سنة 1492م راجع حنيفي هلايلي: التاريخ الأندلسي الموريسكي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2010، ص ص 18-23.

[25]- فاطمة قشي سيدهم: "مكانة التصوف في الحياة الاجتماعية والسياسية في العهد العثماني بالجزائر"، **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية**، ع1، الجزائر، 2009، ص 22.

[26]- الآغا بن عودة المزاري : طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 300.

[27]- صالح العنتري: مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 29.

*- كان حمودة باشا يرمي دائما إلى إثارة الفوضى في الشرق الجزائري حتى يتمكن من ضمه إلى حظيرة الإيالة التونسية ولأجل هذا شن العديد من الهجومات على بايلك الشرق، كما توترت العلاقة بين الإيالة الجزائرية والتونسية في عهده في الكثير من المرات، للمزيد حول

العلاقات الجزائرية التونسية في عهد حمودة باشا أنظر: ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ط2، ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص ص 55-56.

[28]- مؤلف مجهول: تاريخ بايات قسنطينة، المرحلة الأخيرة، تحقيق حساني مختار، منشورات دحلب، الجزائر، د.ت، ص 25.

[29]- محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 31.

[30]- محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، ط2، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1964، ص 117.

[31]- ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000، ص326؛ أنظر أيضا: ناصر الدين سعيدوني: "ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية"، **مجلة الثقافة**، ع78، الجزائر، 1983.

[*]- حكم إقليم قسنطينة من سنة 1804 إلى غاية 1806م، وقد روى العنتري أنه لقي ترحيبا من قبل السكان وسلمهم رسالة الداي كما سلم رسالة إلى العالم ابن الفكون وذلك لتكثيف الجهود للقضاء على ابن الأحرش، للمزيد أنظر: العنتري: تاريخ قسنطينة، المصدر السابق، ص72.

[32]- ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص321.

[33]- ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة والمعاصرة، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص195.

[34]- صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 200.

[*]- لقد أقام عبد القادر ابن الشريف بالمغرب الأقصى وطلب الإذن من شيخ الطريقة الدرقاوية لمحاربة العثمانيين وصورهم له في هيئة كفار لا يصومون ولا يصلون ولا يقومون بأمر الدين، فصدقه هذا الأخير وأذن له بمحاربتهم، لكن لما حضر الشيخ إلى وهران تبرأ منه بعد أن اكتشف كذبه عليه وتزويره للحقائق للمزيد أنظر: يحي بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ، دار الغرب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ت، ص 128.

[**]- نسبة إلى العربي الدرقاوي صاحب الطريقة المشهورة في عهد الملك سليمان العلوي، وكان مقره بني زروال، للمزيد أنظر: مسلم بن عبد القادر: خاتمة أنيس الغريب والمسافر، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 71.

[35]- حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص30.

[36]- أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي: القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق وتقديم ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991، ص26.

[*]- من أشهر مؤرخي الجزائر في العهد العثماني، ولد سنة 1165هـ وتوفي 1238هـ، ترك العديد من المصنفات أشهرها درء الشقاوى في حروب الترك مع درقاوة، وعجائب الأسفار ولطائف الأخبار وهو شرح لقصيدة تتضمن الكثير من الأحداث التاريخية، للمزيد أنظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ط1، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص ص 376-381.

[37]- نفسه، ج1، ص220.

[**]- هي معركة جرت بين مينا ووادي العبد ومات فيها العلامة السيد الحاج أحمد بن هطال التلمساني صاحب كتاب رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الجزائري وكذلك العلامة الأديب عبد الله السيد محمد الغزلاوي، للمزيد أنظر: الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص 305.

[38]- أبو راس الناصري: المصدر السابق، ج1، ص28.

[39]- محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص212.

[40]- حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص33.

[*]- شن المغرب الأقصى العديد من الغارات العسكرية على مدينة تلمسان وتخومها مما أدى إلى توتر العلاقات بين الإيالة الجزائرية والمغرب الأقصى في الكثير من المناسبات، للمزيد حول العلاقات الجزائرية المغربية خلال العهد العثماني أنظر: عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن السادس عشر، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.

[41]- الآغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص304.

[42]- حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص34.

[43]- محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص213.

[*]- منطقة بنواحي المحمدية بمعسكر شرقا، الجزائر.

[**]- هو الجيش الموالي للحكم العثماني يقوم بجمع الضرائب من الأرياف ومساندة السلطة الحاكمة في حروبها مقابل امتيازات كإعفائها من دفع الضرائب، وكان هذا الجيش يتألف من خمسة أعراش هم: الدوائر، الزمالة، الغرابة، البرجية، المكاحلية، للمزيد حول قبائل المخزن أنظر أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 233-235.

[44]- *Grammont (H, D, de), op.cit, p.*365.

[45]- فاطمة قشي سيدهم: المرجع السابق، ص34.

[46]- محمد بن ميمون: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 17.

[*]- ولد سنة 1199هـ، اعتلى عرش الإمبراطورية العثمانية سنة 1222هـ الموافق لـ 1808م وعمره 24 سنة آنذاك، كانت أفكاره متطابقة مع أفكار السلطان سليم الثاني، اهتم بإيجاد نظام موازي للإنكشارية إلا أنه لم يفلح، حيث عادت الإنكشارية إلى سابق عهدها بإثارة الفتن والاضطرابات، عقد معاهدة مع إنجلترا لكي يتفرغ لحرب روسيا وفي سنة 1225هـ اهتم بالتجهيزات الحربية وشهد عصره ثورات البلقان، قاد جيشا بنفسه لمحاربة روسيا وتمكن من الانتصار كما قام بحملات تأديبية ضد الصرب، عرف عهده الكثير من المتمردات سواء في البلقان أو في البلاد العربية مثلما قام به داود باشا والي بغداد، كما شهدت الدولة في عهده ضغطا كبيرا على مختلف الأجهزة توفي سنة 1255 هـ، للمزيد أنظر: إبراهيم بيك حليم: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1988، ص ص 206-207.

[47]- مجموعة 3205 الملف الأول الوثيقة رقم 30.

[**]- عمر باشا داي الجزائر في الفترة الممتدة من 1815- 1817م، وفي عهده حصلت حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر، كما - عرفت الجزائر في عهده ظروفا اجتماعية مزرية للمزيد أنظر، أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص117.

[48]- مجموعة 3205 الملف الأول وثيقة رقم 26.

[49]- جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010، ص 310.